

المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام وأثرها في تدوين التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط

Historical knowledge of Arabs before Islam and its impact of the historical codification of Muslims

كواشي أمال*
مخبر التاريخ للدراسات والأبحاث المغاربية
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
Kouachi.amel@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/30 تاريخ القبول: 2023/02/18

● الملخص:

انطلق التدوين التاريخي في العصر الإسلامي الوسيط من عدة روافد وتعتبر المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام أحد أهم هذه المنطلقات إلا أن الكثير من الباحثين يلجأ إلى التقليل من الأهمية التاريخية عند العرب قبل الإسلام، وهذا كتأكيد على أن العرب قبل الإسلام يفتقدون للوعي بالحضارة، كما ذهب آخرون إلى أن ما وصلنا من روايات لا تعد إلا روايات شعبية واسطورية ليس لها صيغة علمية، تمتع العرب قبل الإسلام بالحس التاريخي ولو بدرجة محدودة ويظهر ذلك من خلال أنماط المعرفة التاريخية التي فرضتها عرب الشمال "أيام العرب"، "أنساب العرب" والتي ساهمت بشكل مباشر في ظهور أنماط كتابة تاريخية بعينها عند المسلمين في العصر الوسيط، يعتبر الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب مختلفا ويعد "التقويم الهجري" عند المسلمين امتدادا لـ: "التقويم الثابت" عند اليمانيين.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الشعور بالتاريخ عند العرب قبل الإسلام ومظاهره وإمكانية اعتبار هذا الحس التاريخي معرفة تاريخية ساهمت في نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين وماهي أنماط المعرفة التاريخية الناتجة عن هذا التأثير.

Abstract:

The compilation of the history of the Islamic Middle Ages started from many aspects; Arabs' before Islam historical knowledge is one of the most important prerequisites, though many researchers underestimate the importance of the Arabs before Islam historical knowledge confirming that the Arabs before Islam lack knowledge of civilization. Others believe that what we get from previous accounts are only popular and mythological stories, which are not scientifically based. Arabs before Islam enjoyed a sense of history, although to a limited extent. The historical knowledge model imposed by the northern Arabs can prove this. The "Arab era" and "Arab descent" directly contributed to the emergence of the historical writing model, especially among the Muslims in the middle Ages. The historical consciousness of the Arabs in the South is different. The Muslim "Hijri Calendar" is an extension of the "fixed calendar" of the Yemenis. This study aims to clarify this sense of history of Arabs before Islam and its manifestations, and the possibility of viewing this sense of history as historical knowledge that helps Muslims write about the origin of history, as well as the historical knowledge model produced by this influence.

Keywords: Arab historical knowledge before Islam, effect, affect, Muslim historical compilation, origin and development

مقدمة:

انطلاق التدوين التاريخي في العصر الإسلامي الوسيط من عدة روافد وتعتبر المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام أحد أهم هذه المنطلقات إلا أنه يلجأ الكثير من الباحثين الى التقليل من الأهمية التاريخية عند العرب قبل الإسلام، وهذا كتأكيد على أن العرب قبل الإسلام يفتقدون للوعي بالحضارة، كما ذهب آخرون الى أن ما وصلنا من روايات لا تعد الا روايات شعبية واسطورية ليس لها صيغة علمية، تمتع العرب قبل الإسلام بالحس التاريخي ولو بدرجة محدودة ويظهر ذلك من خلال أنماط المعرفة التاريخية التي فرضتها عرب الشمال " أيام العرب " ، "أنساب العرب " والتي ساهمت بشكل مباشر في ظهور أنماط كتابة تاريخية بعينها عند المسلمين في العصر الوسيط، يعتبر الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب مختلفا ويعد "التقويم الهجري" عند المسلمين امتداد ل: "التقويم الثابت" عند اليمانيين.

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على الشعور بالتاريخ عند العرب قبل الإسلام ومظاهره وإمكانية اعتبار هذا الحس التاريخي معرفة تاريخية ساهمت في نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين وماهي أنماط المعرفة التاريخية الناتجة عن هذا التأثير.

من هنا سيكون بناء هذه الورقة البحثية للإجابة عن الاشكال الآتي:

ما مدى تأثير الموروث التاريخي لدى العرب قبل الإسلام في نشأة وتطور التدوين التاريخي عند المسلمين؟

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يقتضي تفصي المعلومات العلمية من مختلف المصادر والمراجع، بعد ذلك نقوم بتحليلها وفق المنهج التحليلي، واستنتاج المعلومات العلمية، مع استخدام المنهج النقدي عندما تقتضي الضرورة.

لمقاربة هذه الدراسة من الناحية النظرية وضعناها في شكل مقدمة وعنصرين أساسيين، وخاتمة:

مقدمة: تشمل التعريف بالموضوع، وأهمية الموضوع، والهدف من الموضوع، مع إشكالية الموضوع في شكل تساؤل رئيسي، المنهج المتبع.

ثم تناولت المعرفة التاريخية عند عرب الشمال مع بيان أنماطها من أيام العرب وأنساب العرب ثم أتحدث عن النقوش الكتابية العربية الشمالية وأذكر أنواعها من لحيانيه وصفوية وثمودية، وحتى الآرامية والنبطية على أساس أن كل من الأنياط والآراميين هم عرب عاشوا أو انحدروا من شمال شبه الجزيرة العربية ، وكيف اعتمد عليها المسلمين كمصدر هام وأساسي في التأريخ لتلك الفترة؛ وذلك لغينها بالمعلومات التي تمس مختلف جوانب الحياة ، بالإضافة إلى المعرفة التاريخية عند عرب الحيرة، ثم أستعرض المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب؛ راصدً النقوش كمنط من أنماط المعرفة التاريخية عندهم، ثم التقويم الثابت الذي يعبر عن أعلى درجات الوعي التاريخي عند عرب الجنوب، انتهاء بذكر الروايات الشفوية كتعبير عن الحس التاريخي عند عرب الجنوب، وكيف ساهمت في التدوين التاريخي عند المسلمين الذي دون من تناقل هاته الروايات الشفوية عبر الأجيال.

ثم خاتمة كانت في شكل استنتاجات التي توصلت إليها هذه الدراسة.

اهتم العرب بالتاريخ منذ القدم وحتى نكون فكرة حول المعرفة التاريخية قبل الإسلام يجب الالتفات إلى التراث التاريخي العربي قبل الإسلام⁽¹⁾، وذلك لكون المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام شكلت رافدا مهما من روافد الفكر التاريخي عند المسلمين⁽²⁾، حيث عبر العرب قبل الإسلام عن الأحداث الهامة التي كانت تُثير اهتمامهم بأشكال مختلفة منها الأسطورة، القصة، الأغنية أو نقشاً أو سجل أحداث⁽³⁾ بمعنى بعضه مكتوب أو منقوش وبعضه شفوي.

ينقسم سكان شبه جزيرة العرب إلى مجموعتين تفصل بينهما فروق بعيدة العمق⁽⁴⁾، قبائل بدوية مترحلة وقبائل مستقرة⁽⁵⁾، للتعرف على مظاهر المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام يجب أن نبحث عن أنماط هاته المعرفة عند عرب الشمال ثم عند عرب الجنوب.

1. المعرفة التاريخية عند عرب الشمال: نحاول إبراز الحس التاريخي لدى عرب الشمال قبل الإسلام من خلال رصد مظاهره وكيف أثرت في ظهور أنماط تاريخية بعينها عند المسلمين.

عرب الشمال هم العرب العدنانيون الذين سكنوا الحجاز ونجد، وامتدت قبائلهم إلى باديتي الشام والعراق، وقد غلب على معيشتهم طابع البداوة بسبب طبيعة البيئة التي عاشوا فيها، واستقر البعض منهم في مناطق تواجد الواحات⁽⁶⁾. تعتبر القبيلة الشكل السائد عند عرب الشمال، وهي الوحدة الأساسية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني، وافتقاد هذه المجموعة الشعبية للوحدة السياسية بسبب تنقلها الدائم هو السبب الذي يرجع إليه المستشرق "جب هاملتون" محدودية التفكير عندهم خاصة في المعرفة التاريخية⁽⁷⁾، لكن رغم ذلك يؤكد كارل بروكلمان على أنهم من رغم هذا التشتت السياسي كانت لهم أفكار وعادات وتقاليد تجعل منهم أمة واحدة⁽⁸⁾؛ حيث أن هذه الهيكلة القبلية فرضت الاهتمام بمفاخر القبيلة وحفظ انسابها⁽⁹⁾. اتفق المؤرخين العرب والمستشرقين على أن الفكر التاريخي عند العرب قبل الإسلام كان له مصدرين أساسيين هما "الأنساب" و"الأيام"⁽¹⁰⁾؛ حيث أنه إذا كانت "الأنساب" وسيلة القبيلة للبحث عن هويتها فإن "الأيام" هي الوسيلة التي تؤكد من خلالها عن ذاتها

(1) عبد العزيز الدوري-نشأة علم التاريخ عند العرب-دار زايد للتراث والتاريخ - 1420هـ/2000م - ص13.

(2) قاسم عبدو قاسم -تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية- عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية-مصر-2000م -ص100.

(3) محمد أحمد ترحيني -المؤرخين والتاريخ عند العرب-دار الكتب العلمية - بيروت-د.ت-ص12.

(4) كارل بروكلمان -تاريخ الأدب العربي-ترجمة: عبد الحلیم النجار-دار المعارف-القاهرة-1995م-ص41

(5) عبد العزيز دوري، مرجع سابق، ص13.

(6) عبد الحكيم الكعبي-العرب قبل الإسلام-دار ومكتبة البصائر-بيروت-2014-ص38.

(7) جب هاملتون-علم التاريخ-ترجمة إبراهيم خورشيد-دار الكتاب اللبناني -بيروت-1981م-ص48.

(8) عبد العزيز الدوري-المرجع السابق-ص42.

(9) محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص11.

(10) فاطمة قدور الشامي-علم التاريخ-دار النهضة العربية-بيروت-1422هـ/2001م-ص44/ جان سوفاجيه وكلود كاين - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي-ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب

علوب - المجلس الأعلى للثقافة- مصر -1998م-ص50/ قاسم عبدو قاسم -مرجع سابق-ص100/ جب هاملتون-مرجع سابق-ص48/ محمد أحمد ترحيني - مرجع سابق-ص12.

وهويتها وتدعم وجودها من خلال ماضيها⁽¹¹⁾، اعتمد عرب الشمال على الشعر أيضا كوسيلة للتعبير بها على فكرهم التاريخي؛ حيث كانت القصائد الشعرية تصحب بمقدمات نثرية تحكي الظروف والملابسات التي قيل فيها هذا الشعر⁽¹²⁾ في الغالب كانت هذه المقدمات النثرية تحمل تلميحات تاريخية⁽¹³⁾؛ بالإضافة إلى النقوش الكتابية التي سجلت لنا مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية، الاقتصادية عند عرب شمال الجزيرة العربية.

وعليه فقد اتسمت أنماط المعرفة التاريخية عند عرب الشمال بـ:

1.1 أيام العرب:

سميت كذلك لكون العرب كانوا يتحاربون نهارا، فإذا أتى الليل عليهم أوقفوا القتال حتى الصباح⁽¹⁴⁾، وتعتبر أيام العرب روايات شفوية في قالب شعري تتضمن أخبار عن آلهة ومآثر وغزوات وحروب عرب الشمال؛ مثل حرب البسوس، حرب داحس والغبراء، حرب ذي قار⁽¹⁵⁾، لهذا اعتبرت نمطا من تعبيرها عن الفكر التاريخي عند عرب الشمال، ونموذجا لحفظ الذاكرة القبلية آنذاك⁽¹⁶⁾.

من ناحية أخرى يذهب كارل بروكلمان إلى أنه لا يمكن الاعتماد الكلي على أيام العرب وذلك لكون الشاعر العربي ليس موضوعيا تماما لأنه يضع فنه في خدمة فخره بنفسه واعتزازه بمجد قبيلته⁽¹⁷⁾، وهو ما يؤكد عليه مختلف المؤرخون حيث اعتبروا أن الأحداث التي تتضمنها "أيام العرب" ينقصها التنسيق والتأليف والحبكة، بالإضافة إلى أنها لا تورد الأسباب والنتائج⁽¹⁸⁾ إلى جانب أن "أيام العرب" تهمل الوقت لأن الزمن بالنسبة لعرب الشمال منقط بحوادث كبرى تُتخذ كبداية للتوقيت وعندما تأتي حادثة أهم تُهمل الأولى⁽¹⁹⁾، نتيجة لذلك لم يعتبر محمد أحمد ترحيني هذا الحس التاريخي معرفة تاريخية؛ خاصة وأنه يكتسيه الخيال في أغلب الأحيان ويفتقد إلى عناصر الحادثة التاريخية (الزمان - المكان)⁽²⁰⁾.

على الرغم من ذلك فـ"أيام العرب" سجلت أحداث كبرى تتضمن كثيرا من الحقائق التاريخية وهي حتما تُسجّت حول نواة من الأحداث الحقيقية⁽²¹⁾، اعتبارها حاجي خليفة: "علم أيام العرب ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التاريخ"⁽²²⁾.

يمكن اعتمادا على هذا المنطلق التاريخي الضارب في تاريخ الوحدة الأساسية في تكوين المجتمع العربي القديم وهي القبيلة أن نقول أن الأخبار التي ذاعت واشتهرت لدى المسلمين ما هي إلا نموذج أو انعكاس ناضج للفكر التاريخي الذي صورته أيام

(11) قاسم عبدو قاسم -مرجع سابق-ص102.

(12) جان سوفاجيه-مرجع سابق-ص50، كارل بروكلمان-مرجع سابق-ص49.

(13) قاسم عبدو قاسم-مرجع سابق-ص101.

(14) محمود الحويري-منهج البحث في التاريخ-المكتب المصري للتوزيع والطبوعات-مصر-2001م-ص106.

(15) بيومي مهران-التاريخ والتأريخ-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-2005م-ص117.

(16) قاسم عبدو قاسم-مرجع سابق-ص102.

(17) كارل بروكلمان-مرجع سابق-ص56.

(18) السيد عبد العزيز سالم-التاريخ والمؤرخون العرب-دار النهضة العربية-بيروت-1961م-ص43/ محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص12/ جب هاملتون-مرجع سابق-ص49/ جان سوفاجيه-

مرجع سابق-ص50/ عبد العزيز الدوري-مرجع سابق-ص16.

(19) عبد العزيز الدوري-مرجع سابق-ص17.

(20) محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص12.

(21) قاسم عبدو قاسم -مرجع سابق-ص102، محمود الحويري-مرجع سابق-ص106.

(22) حاجي خليفة مصطفى عبد الله-كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون-تصحيح الغني محمد شرف الدين-دار أحياء التراث العربي-بيروت-1360هـ/1941م-ج1-ص204.

العرب وأحداثهم فكلاهما يشترك في التقديم الذي يحكي سبب الحادثة⁽²³⁾؛ وهو ما يؤكد عليه القلقشندي أن المؤرخين المسلمين تأثروا بـ "أيام العرب" وأصبحوا يدونون أخبار تتعلق بالأيام المهمة عندهم مثل معركة الجمل، معركة صفين، معركة النهروان⁽²⁴⁾، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد شكلت "أيام العرب" مصدرا رئيسيا للمؤرخين المسلمين الذين قاموا بتدوين التاريخ الخاص بهذه الفترة⁽²⁵⁾، يذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون: "صنف عبدة البكري في علم أيام العرب كتابين، الأول كبير به مائي يوم والثاني صغير به خمسة وسبعين يوماً وزاد عليه الأصفهاني وألف كتاباً به ألف وسبعمائة يوم"⁽²⁶⁾، وهكذا فإن "أيام العرب" تعد صورة لتعبير العرب عن ذاكرتهم ولا يمكن إلغاؤها لكن لا بد أن ندرك من خلالها عن القصور الواضح في المعرفة التاريخية مقارنة بالحضارات التي سادت خلال العصر القديم في الشرق الأدنى وهي المنطقة القريبة من شبه الجزيرة العربية، لكن في الوقت نفسه لا يمكن أن ننفي أنها ساهمت في إعطاء صبغة خاصة للتدوين التاريخي للأخبار بعد الإسلام.

2.1 الأنساب:

اتفق معظم المؤرخين على أن "الأنساب" من التاريخ المأثور عن عرب الشمال وهو عبارة عن مادة تاريخية تفيد في الحفاظ على مقومات المجتمع؛ حيث حرصت كل قبيلة على حفظ أنسابها وذلك من أجل الفخر والاعتزاز بماثر أسلافهم⁽²⁷⁾، أيضا النسب يحفظ حقوق الناس البدو، ففي المجتمع القبلي عندهم وصلات الدم القوية؛ فرضت حفظ شجرات النسب⁽²⁸⁾ نتيجة لذلك أصبح للنسب شأن كبير عند عرب الشمال، كذلك للنسابة شأن عظيم لأنهم مرجع في الأنساب والأحساب⁽²⁹⁾، مما يدل على أن العرب لهم نسابة تثير الدهشة من شدة الحفاظ نجد عند ابن هشام في كتابه السيرة النبوية النسب الزكي أي نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى غاية سيدنا إسماعيل⁽³⁰⁾، واهتمام عرب الشمال بأنسابهم وحفظها عن ظهر قلب يدل على وجود حس تاريخي لديهم⁽³¹⁾، بمعنى الأنساب هي التاريخ الأنثروبولوجي التقليدي والعمود الذي تنسج حوله الفكرة التاريخية⁽³²⁾.

من ناحية أخرى نجد أن هناك من المؤرخين من يعتبر "الأنساب" تاريخاً غير مقصود، لعدم اهتمامه بالأحداث التاريخية المرافقة للأنساب المذكورة، إضافة إلى ذلك أنه يُنقل مشافهة ولم يدون بل كانوا يحفظونه عن ظهر قلب⁽³³⁾، خاصة وأن المعلومات النسبية

(23) عبد العليم خضر-المسلمون وكتابة التاريخ-المعهد العالمي للفكر الإسلامي-العراق-1995م-ص69.

(24) القلقشندي ابي العباس أحمد-صبح الأعشى في كتابة الإنشاء-دار الكتب المصرية-القاهرة-1340هـ/1922م-الجزء 1-ص391.

(25) عبد العزيز الدوري-مرجع سابق-ص17/كارل بروكلمان-مرجع سابق-ص30.

(26) حاجي خليفة-مصدر سابق-الجزء 1-ص204.

(27) محمود الحويري-مرجع سابق-ص108/قاسم عبدو قاسم-مرجع سابق-ص101/جب هاملتون-مرجع سابق-ص50.

(28) فريد بن سليمان-مدخل إلى دراسة التاريخ-مركز النشر الجامعي-تونس-2000م-ص92.

(29) جواد علي-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - جامعة بغداد-بغداد-1413هـ/1993م-ج1-ص508.

(30) ابن هشام-السيرة النبوية-تحقيق أحمد شمس الدين-دار ومكتبة الهلال-2009م-ص9.

(31) محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص12.

(32) مصطفى شاكر-مرجع سابق-ص55.

(33) جان سوفاجيه-مرجع سابق-ص50، محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص13/قاسم عبدو قاسم-مرجع سابق-ص101.

بقيت شفوية فترة طويلة بعد الإسلام⁽³⁴⁾، بالإضافة إلى أن الشعر الجاهلي لم يذكر عدنان ولا قحطان كما لم تذكرها النقوش الكتابية العربية القديمة مما يثير الريبة حولها⁽³⁵⁾.

بالرغم من أن الإسلام في البداية جاء بمبدأ أكرمكم عند الله أتقاكم³⁶؛ مما أفقد الحماس بالعصبية وحفظ الأنساب أو الاهتمام بيها لفترة محدودة⁽³⁷⁾؛ إلا أن هناك عدة حوافز أدت إلى ظهور الاهتمام بالأنساب من جديد، منها تدوين الدواوين والعطاء، وسكن القبائل وفرق الجيش حيث كل هذه الأمور تمت على أساس قبلي، بعد ظهور الموالي و النزاع الاجتماعي وحاجة العرب إلى الدفاع عن مكانتهم الاجتماعية وجد المؤرخون المسلمون ملاذهم عند الحفاظ أنساب العرب، وبهذا أصبح تدوين أنساب العرب فرعاً من فروع التاريخ؛ والنسابة الأوائل هم أنفسهم الإخبارين الأوائل⁽³⁸⁾، ويعتبر كتاب "جمهرة النسب" الذي ألفه بن السائب الكلبي⁽³⁹⁾ في العصر الأموي أوسع كتاب دون في الأنساب العربية، وأكثر من ذلك أصبح التدوين في فروع الأنساب مثل "أنساب الأشراف" للبلاذري⁽⁴⁰⁾.

وهكذا التدوين التاريخي عند المسلمين تطور من الروايات الشفهية التي تناقلتها الأجيال؛ و "الأنساب" نمط من أنماط المعرفة التاريخية عند عرب الشمال، ساهم بشكل مباشر في نشأة وتطور علم التاريخ عند المسلمين.

1.3 3.1 النقوش العربية الشمالية القديمة:

تعددت النقوش الكتابية العربية الشمالية بحسب كاتبها وأماكن انتشارهم؛ مثل النقوش اللحيانية تنتشر في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية، النقوش الثمودية في الجزء الشمالي الشرقي بالإضافة إلى الجزء الجنوبي الشرقي من الأردن، أما النقوش الصفوية تتواجد في الجزء الشمالي الغربي من السعودية بالإضافة إلى منطقة الصفا جنوب شرق دمشق ومنطقة البادية الشرقية⁽⁴¹⁾.

1.3.1.1 النقوش اللحيانية: اللحيانيون هم مجموعة من القبائل العربية التي عاشت على امتداد جغرافي من شمال الحجاز إلى

جنوب منطقة الحجر وتيماء، وكانت منطقة العلا هي حاضرة المملكة⁽⁴²⁾، وتؤرخ النقوش اللحيانية من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي؛ وقد تضمنت معلومات لا بأس بها عن طبيعة حياتهم في نواح عدة، سواء كانت اجتماعية أو سياسية، أو دينية،

(34) انتقلت الأنساب بالرواية عبر القرن الإسلامي الأول إلى عصر التسجيل، في القرن الثاني (مصطفى شاكر-مرجع سابق-ص56).

(35) المرجع نفسه.

(36) قال الله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" سورة الحجرات الآية 13.

(37) السيد عبد العزيز سالم-مرجع سابق-ص45.

(38) مصطفى شاكر-مرجع سابق-ص65.

(39) الكلبي ابن منذر هشام بن محمد بن السائب-جمهرة النسب-تحقيق ناجي حسن-دار الكتب-بيروت.

(40) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر-جمل من أنساب الأشراف-تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي-دار الفكر-بيروت-1417هـ/1996م

(41) حسين القدرة-"ملامح من طقوس الحج عند عرب شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال نقوشهم" - منشورات جامعة اليرموك-المجلد 23-العدد 2-2007-صص668-692.

(42) سالم بن أحمد بن طبران-"أهمية النقوش الكتابية القديمة كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام"-أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية (0165-1023) -

2004م-صص1137-1168.

كما عثر على مجموعة من القطع الفخارية، والتماثيل البشرية والحيوانية، بالإضافة إلى القبور وبعض المخلفات المعمارية للبيوت والمعابد وبعض العملات في مناطق تركز اللحيانيين⁽⁴³⁾.

2.3.1 النقوش الثمودية: الثموديون من القبائل العربية التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها⁽⁴⁴⁾ واستوطنت

هناك، تغطي نقوش الثمودية منطقة جنوب شرق الأردن وشمال غرب المملكة العربية السعودية⁽⁴⁵⁾، تؤرخ نقوشهم من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الخامس الميلادي، من خلال الرسومات الصخرية التي رافقت النقوش الكتابية الثمودية الدالة على المعمار من معابد ومباني ومزارع وحتى الأدوات الزراعية؛ يمكن أن نلمح وجود نوع من الاستقرار في طبيعة المجتمع الثمودي، والنقوش المكتوبة تدل على انتشار القراءة والكتابة وتعتبر هذه صورة أخرى من مظاهر استقرار هذا المجتمع⁽⁴⁶⁾.

3.3.1 النقوش الصفوية: عاش عرب البادية الأردنية، الذين عرفوا باسم "الصفويين"⁽⁴⁷⁾ في المناطق الممتدة من شمال

الجزيرة العربية إلى البادية الأردنية مروراً بالبادية السورية كما كانوا يتنقلون باستمرار بحثاً عن الماء والكلأ⁽⁴⁸⁾، تسمى النقوش الصفوية نسبة إلى المكان الذي عثر عليها فيه "وادي الحشاد" الذي يبعد 45 كم شمال شرقي قرية الصفواي التي تقع في جنوب دمشق⁽⁴⁹⁾، انتشرت النقوش والكتابات الصفوية على مساحات شاسعة شملت منطقة الحرة في الصحراء الشرقية الأردنية غرب العراق وجنوب سوريا ومناطق متفرقة من شمال المملكة العربية السعودية⁽⁵⁰⁾.

وصل عدد النقوش الصفوية التي تم العثور عليها حوالي خمسين ألف نقش، تؤرخ للفترة الممتدة من منتصف القرن 1 ق.م إلى القرن 4 م، وثقت ألهتهم وطريقة تعبدهم من صلوات وأدعية وتضرعات، كما وصفت البيئة التي عاشوا فيها بالإضافة إلى حياتهم الاجتماعية وحتى الاقتصادية⁽⁵¹⁾.

4.3.1 النقوش النبطية: قامت مملكة الأنباط في شمال الحجاز، تتميز بلاد الأنباط بأنها بلاد جبلية، قليلة المياه، تكثرت فيها

المرتفعات الصخرية، وعُرف الأنباط بميلهم للغزو وساعدتهم بيئتهم على مقاومة أعدائهم، وسميت عاصمتهم بالبتراء⁽⁵²⁾، تنتشر

(43) ناصر مكاي، حسين القدرة كاريمان عمر صب لين، "أساليب الطباعة عند عرب شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال النقوش" -مجلة كلية الآثار- العدد 23-2020-ص14-27

(44) الثموديون كانوا أقرب إلى الحضرميين إلى البدو، وذلك بسبب ممارستهم للتجارة، كما تم استخدامهم في الجيش الروماني كدروع بشرية للحماية من القبائل العربية (ناصر مكاي وآخرون-مرجع سابق-ص15)

(45) حسين القدرة - "ملاحم من طقوس الحج عند عرب شمال الجزيرة العربية"-مرجع سابق ص669.

(46) ناصر مكاي وآخرون-مرجع سابق - ص16.

(47) الصفويون قبائل عربية متنقلة هاجرت من جنوب الجزيرة العربية بسبب الجذب وكثرة الحروب، كما كانوا يتنقلون باستمرار بحثاً عن الماء والكلأ، وهذا التنقل الدائم يفسر عدم تركهم لمخلفات عمرانية رغم انتشارهم الواسع (مرجع نفسه)

(48) محمد علي العباينة، إبراهيم صالح صدفه -"الدثا" د ث ا "فصل التبدئي الرعي" عند القبائل العربية الشمالية من خلال النقوش الصفويين"-مجلة جامعة الملك سعود -المجلد 26-العدد 1-الرياض 1435 هـ /2014-صص 15-46.

(49) صبري كريم العبادي-"نقوش عربية شمالية قديمة(صفوية) من متحف آثار الجامعة الأردنية"-مجلة جامعة الملك سعود -المجلد 25-العدد 2-الرياض 1434هـ/2013م-صص 121-134.

(50) حسين محمد القدر، مهدي عبد الكريم، سلطان عبد الله المعاني -"الأقوام والشعوب في النقوش الصفوية" -مجلة جامعة الملك سعود -المجلد 25-العدد 2-الرياض 1434هـ/2013م-صص 135-148.

(51) ناصر مكاي وآخرون-مرجع سابق-ص16.

(52) البتراء أي الصخرة، وأصبحت البتراء في القرن الأول قبل الميلاد أهم مراكز التجارة بسبب موقع البتراء ملتقى الطرق التجارية من العراق شرقاً، واليمن جنوباً، وسورية وفلسطين شمالاً، ومصر غرباً (عبد الحكيم الكعبي-مرجع سابق-ص77).

النقوش النبطية من شبه جزيرة سيناء في الغرب وحتى الحائل شرقاً ، ومن دمشق في الشمال حتى الحجر (مدائن صالح) (53) في الجنوب (54)، وخاصة المناطق التي تصلها تجارتهم داخل شبه الجزيرة العربية مثل "مدائن صالح ، الجوف، قرية الفاو"، والأردن وسورية، ومصر ، تؤرخ نقوشهم للفترة الممتدة من القرن 2 ق.م حتى منتصف القرن 4م (55) والعدد الأكبر للنقوش يعود للقرن 1 ق.م والقرن 1 م (56).

لغة الأنباط فهي لهجة من لهجات عرب الشمال، بينما خطهم مشتق من الآرامية (57)؛ والدليل على ذلك خط أغلب نصوص النقوش النبطية، لكن هذا لا ينفي وجود كتابات نبطية (58)؛ مستوحاة من مفردات اللهجة العربية الشمالية التي يتحدثها الأنباط تم تحويلها إلى لغة الكتابة وألف بيها نقوش نبطية، يؤرخ آخر نص معروف حتى الآن بسنة 355م، وأشهر النقوش المدونة باللغة النبطية هو النقش الموجود على نصب حجر تذكاري على قبر الملك امرئ القيس يعود لسنة 328م والتقارب الموجود بين خط النص وصيغ مفردات العربية ، وهو ما يؤكد كيف أدخلت الكلمات والصيغ العربية تدريجياً محل الآرامية-النبطية (59).

5.3.1 النقوش الآرامية: القبائل الآرامية هي تلك القبائل التي نزحت من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام (60) وذلك حوالي وسط الألف الثاني قبل الميلاد، تعود أقدم النقوش الآرامية إلى الفترة الممتدة ما بين القرن السادس والقرن الثالث قبل الميلاد، تم العثور على النقوش الآرامية في مواقع أثرية مختلفة وخاصة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية (61).

النقوش الآرامية في مجملها شواهد قبور تحتوي على اسم المتوفي واسم الأب، أو مسلات نذرية يسجل فيها صاحبها نص في شكل تقديمية للقرايين المقدمة للمعبودات المعروفة (62)، وكذلك تظهر في نقوشهم أسماء الأصنام العربية التي عبدوها إلى جانب الأصنام الآرامية القديمة (63).

تعتبر النقوش الكتابية القديمة التي تم العثور عليها في شمال المملكة العربية السعودية مصدراً هاماً لتاريخ شمال شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وذلك بما تحتويه من معلومات هامة عن مختلف نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، الثقافية وحتى الاقتصادية بالإضافة إلى معلومات عن القوانين والتشريعات التي كانت تحكم تلك الشعوب.

(53) الحجر (مدائن صالح): ثاني أكبر مدينة نبطية بعد البتراء، وهي تبعد حوالي 20 كم شمال مدينة الغلا شمالي المملكة العربية السعودية. (سليمان بن عبد الرحمن-مدونة النقوش النبطية في

المملكة العربية السعودية-داره الملك عبد العزيز-السعودية-2010م-المجلد 1-ص151).

(54) فالتر ف. مولر (ماربورج)-"العربية القديمة في نقوش فترة ما قبل الإسلام"-ترجمة: سعيد بحيري -مجلة الدراسات اللغوية -مجلد 4- العدد 3- رجب. رمضان 1423 هـ/ أكتوبر. ديسمبر 2002م- ص ص 13-27

(49) سالم بن أحمد -مرجع سابق-1141.

(56) فالتر ف. مولر (ماربورج)-مرجع سابق-ص13

(57) حضارة الأنباط مركبة؛ فهي عربية اللغة، آرامية الكتابة، سامية الديانة، يونانية رومانية في الفن والهندسة، إلا أن الطابع العربي يظل الطابع الغالب عليها لأن الأنباط عرب، والدليل على ذلك

أسماءهم فهي أسماء عربية الأصل (عبد الحكيم الكعبي-مرجع سابق-ص85)

(58) لم يخلف الأنباط كتابات كثيرة بلغتهم، إلا ان الكتابة العربية يعود أصلهما إلى الحروف النبطية (عبد الحكيم الكعبي-مرجع سابق-ص86).

(59) كارل بروكلمان -مرجع سابق-ص63، فالتر ف. مولر (ماربورج)-مرجع سابق-ص16، 19.

(60) أهل تدمر عرب كالأنباط، يكتبون بالآرامية التي انتشرت في المنطقة ما بين فارس والشام والحجاز (عبد الحكيم الكعبي-مرجع سابق-ص90)

(61) سالم بن أحمد-مرجع سابق-ص1141.

(62) سالم بن أحمد -مرجع سابق-ص1144.

(63) عبد الحكيم الكعبي-مرجع سابق-ص91.

فمثلا النقوش الثمودية نقوش قصيرة وموجزة تسجل ذكرى حوادث عامة او خاصة؛ تمس مختلف جوانب الحياة، كما قد تسجل ملكية صاحب النص لأشياء معينة مثل الأحصنة والجمال والوعول كمعلومات اقتصادية، كما أن منها نقوش الحرب التي يسجل فيها أصحابها مشاركتهم في الحرب مع قبيلتهم ضد قبيلة أخرى كمعلومات عسكرية، وتحديد النقوش اللحيانية مؤرخة بسنوات حكم ملوك لحيانيين حيث يساعدنا هذا التأريخ على معرفة التسلسل الزمني لحكم ملوك لحيان (64).

أما النقوش الصفوية فقد أمدتنا بمعلومات دينية كشواهد القبور والتضرعات والتبريكات للآلهة، ومعلومات اجتماعية كاستقرار أو السكن في الأرض أو الصحراء بالإضافة إلى ملامح الحياة السياسية عند عرب الشمال قبل الإسلام من خلال تناولها لمختلف الأقوام والشعوب التي عاشت في تلك المنطقة وعلاقاتها المختلفة فيما بينها وعلاقاتها مع الصفويين تحديداً من صراعات وتحالف (65).

النقوش النبطية من أهم النقوش التي عثر عليها حتى الآن فهي تعكس صورة واضحة عن الأنباط من حيث الفكر الديني والاجتماعي والسياسي، بالإضافة إلى مسميات المهن والوظائف التي زولوها في مختلف القطاعات؛ زراعة "الحاصد"، صناعة "الحائك، الصائغ" (66)، كما أنها تزخر بأسماء القبائل والأقوام التي تميظ اللثام عن العديد من مظاهر الحياة القديمة؛ خاصة تركيبة المجتمع النبطي وتوزيع قبائله الجغرافي ونفوذه الاستراتيجي آنذاك (67).

تُعتبر النقوش الكتابية العربية الشمالية عن مدي وعي عرب الشمال بالتاريخ، واعتماد المؤرخين المسلمين على هاته المعلومات كمصدر للتأريخ لتلك الفترة يدل على تأثير المعرفة التاريخية عند عرب الشمال في الكتابة التاريخية عند المسلمين.

4.1 المعرفة التاريخية عند عرب الحيرة:

تُعتبر المعرفة التاريخية عند عرب الحيرة (68) كذلك على المعرفة التاريخية عند عرب الشمال، لذلك سنحاول التعرف على هل كان لعرب الحيرة معرفة تاريخية وهل أثرت في الكتابة التاريخية عند المسلمين.

مملكة الحيرة من الدول العربية التي قامت في بادية العراق الغربية قبل الإسلام، وكانت تقوم بدور فعال؛ دور الحاجز بين العرب والفرس، فضلا عن كونها دولة عازلة بين الروم والفرس (69)، تعتبر "تنوخ" مجموعة من القبائل العربية التي سكنت منطقة الحيرة ويعود الفضل لهم في نشوء مملكة الحيرة، وهي قبائل خرجت من اليمن إلى العراق وتحالفت مع قبائل أخرى من البحرين في طريقها

(64) سالم بن أحمد-مرجع سابق-ص 114.

(65) حسن محمد القدر وآخرون- "الأقوام والشعوب في النقوش الصفوية"-مرجع سابق-ص 136.

(66) سالم بن أحمد-مرجع سابق-ص 115.

(67) زياد مهدي السلامين- "أسماء القبائل والأقوام النبطية في النقوش والبرديات النبطية"-مجلة جامعة بن طلال للبحوث-المجلد 7-العدد 1-2021م.

(68) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف؛ جنوب العراق، وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية (ياقوت الحموي -معجم البلدان-دارصادر-بيروت-

1397هـ/1977م-ج 2-ص 328)

(69) عبد الحكيم الكعبي - مرجع سابق-ص، 115، 116.

إلى العراق، بسبب وفرة الموارد الجغرافية من ماء وأراضي زراعية خصبة في العراق (70)، هناك الكثير من الإشارات المصدرية التي تؤكد على أن مملكة الحيرة كانت مركز علم وأدب؛ كيف لا وهي حضارة هجينة بين الموروث العراقي والموروث اليمني (71).
عثر في شمال الجزيرة لدي عرب الحيرة المناذرة كتب تحتوي على أخبارهم وأنسابهم في كنائس الحيرة (72)؛ اعتبرها " السيد عبد العزيز سالم" مادة تاريخية يمكن الاعتماد عليها؛ بسبب احتواءها على تفاصيل عن عرب الحيرة، وسير ملوكهم (73)، كما نجد "سهيل طقوش" يذكر أن الحركة العلمية مزدهرة في الحيرة ويحدثنا عن كثرة المدارس فيها التي كانت تهتم بتعليم الكتابة والقراءة ويقول أن الخط الحيري مستمد من الخط الآرامي وهو أساس الخط العربي (74)، كما أنه هناك بعض الدراسات التي تؤكد على أن اهتماماتهم كانت منصبه على دراسة التاريخ السياسي للمملكة من خلال حروبهم وسير ملوكهم وعلاقتهم الاجتماعية مع جيرانهم (75).
بالرغم من ذلك نجد "على جواد" ينفي وجود كتب مأثورة عن المناذرة في قوله "تأريخ مدينة الحيرة غامض... فلم يرد خبرها في نص تاريخي مدون أو كتابة مدونة...؛" ويؤكد على ذلك بوجود تناقض واضطراب في أخبار وتأريخ مملكة الحيرة وينقد ابن الكلبي الذي يقول: "إن كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة... من بيع الحيرة" بمعنى من الكتب الموجودة في كنائس الحيرة (76).

من ناحية أخرى عبد العزيز الدوري يؤكد على وجود كتب تحتوي على أخبار الحيرة إلا أنه ينفي وجود فكرة تاريخية واضحة عند عرب الحيرة (77)، على العكس نجد السيد عبد العزيز سالم يعتبر الكتب المأثورة عن عرب الحيرة بمثابة نصوص تحتوي على أنسابهم وسير ملوكهم؛ يمكن نقدها ومقارنتها وأنها تحتوي على نوع من الصدق مما يمكن من الاعتماد عليها كمادة تاريخية (78).

2. المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب:

الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب مختلف عن الوعي التاريخي لدى عرب الشمال ويرجع ذلك للاستقرار السياسي والاقتصادي في المنطقة (79)، ويرجع بروكلمان ذلك الاستقرار إلى البيئة والمناخ السائد في منطقة الجنوب من الجزيرة العربية (80)؛ وهو ما يؤكد عليه الهمذاني في كتابه صفة جزيرة العرب " سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها، والبحر مطيف

(70) إبراهيم محمد على الجبوري- "مملكة الحيرة أوضاعها السياسية والحضارية قبيل الإسلام"- التربية والعلم-م19، ع4-2012م-ص-ص247-272.
(71) المرجع نفسه.

(72) شاکر مصطفى- التاريخ العربي والمؤرخون- دار العلم للملايين- بيروت-1983م-ص53، عبد العزيز الدوري- مرجع سابق-ص15.

(73) السيد عبد العزيز سالم- مرجع سابق-ص43.

(74) محمد سهيل طقوش- تاريخ العرب قبل الإسلام- دار النفائس- بيروت-2009م-ص407.

(75) إبراهيم محمد على الجبوري- مرجع سابق-ص-ص247-272.

(76) جواد على- مرجع سابق-ص162.

(77) عبد العزيز الدوري- مرجع سابق-ص15.

(78) السيد عبد العزيز سالم- مرجع سابق-ص43.

(79) قاسم عبدو قاسم- مرجع سابق-ص105.

(80) كارل بروكلمان- مرجع سابق-ص41.

بها من المشرق إلى الجنوب فراجعًا إلى المغرب... " (81) ، الملكية الوراثية هي نظام الحكم السائد عند عرب الجنوب ولقد شهدت بلاد العرب في جنوب الجزيرة العربية عدد من الممالك مثل معين، سبأ، وحمير، إذن الوعي التاريخي عندهم يوافق درجة.

الحضاري (82)، ومن مظاهر الوعي التاريخي عند عرب الجنوب:

1.2 النقوش العربية الجنوبية القديمة: وصلت لنا مجموعة من النقوش الكتابية عن عرب الجنوب منها نقوش على الحجر أو المعدن سمّاها المتقدّمون "نقوش المسند"، أو في كتابات على عشب النّخل وأعواد الخشب سمّوها "زبر حمير" (83)

1.1.2 نقوش المسند: استخدمت كتابة المسند في جميع الممالك اليمنية القديمة؛ مملكة معين، مملكة قتيبان، مملكة حضرموت، مملكة سبأ، وقد اختلف الباحثون في تحديد المملكة الأولى التي بدأ فيها التدوين بالمسند (84) ويطلق على الخط الذي تُكتب به هذه النقوش "المسند" (85) كما يُذكر في كتاب التيجان في ملوك حمير (86) "إن حمير... كان يكتب بالمسند في جميع سلاحه من الحديد"، وسمي كذلك على حد تعبير صاحب كتاب التيجان "وإنما قيل له المسند لأنه أسند إلى هود عن جبريل" (87)،

وتعتبر النقوش السبئية الأكثر انتشاراً؛ وسبب ذلك أن السبئية ظلت تستعمل دون انقطاع زمنًا طويلًا يزيد عن اثني عشرة قرنًا، فأقدم نقوشها يعود إلى القرن 7 ق.م، ويقسم الدراسون مراحل تطور اللغة السبئية إلى ثلاثة عصور: السبئية القديمة مكتوبة بخط المحرات أي بالتناوب، السبئية الوسيطة وأغلب النقوش تعود لهذه المرحلة، السبئية المتأخرة من أوائل القرن الرابع إلى نهاية عهد المملكة السبئية، وتنتشر النقوش السبئية في رقعة واسعة من اليمن القديم؛ يفوق عددها خمسة آلاف نقش (88).

2.1.2 نقوش خط الزبور "زبر حمير": قامت المملكة الحميرية على أنقاض المملكة السبئية سنة 115 ق.م، ودامت حتى الاحتلال الحبشي 523م، عاصمتها ظفار وسط اليمن، توصلت في أزهى عصورها إلى توحيد بلاد اليمن تحت حكمها، (89) نقوش "زبر حمير" مدونة بخط مشتق من خط المسند الرسمي، غير أنه يتميز عنه بسهولة تحرير حروفه (90) كما أنه خط متصل الحروف،

(81) الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب- صفة جزيرة العرب- تحقيق محمد بن علي الأكواع - مكتبة الإرشاد- صنعاء- 1410هـ/ 1990م- ص30.

(82) قاسم عبدو قاسم- مرجع سابق- ص، ص 103، 105.

(83) رفعت هزيم- "العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام"- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد 88- الجزء 2- صص 324-348.

(84) فاروق إسماعيل- "العربية الجنوبية وصلاتها بالفصحى" - مجلة التراث العربي - العددان 130-131 - حلب- صيف، خريف 2013م- صص 121-146.

(85) محمد بيومي مهران - مرجع سابق - ص 118.

(86) مؤلف مجهول- التيجان في ملوك حمير - تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية- صنعاء - 1347هـ- ص60.

(87) المصدر نفسه- ص63.

(88) رفعت هزيم- مرجع سابق - ص 332.

(89) فاروق إسماعيل- مرجع سابق- ص 125.

(90) سالم بن أحمد- مرجع سابق- ص 1139.

تتميز النقوش الحميرية بتضمنها صيغ ضمائر المتكلم والمخاطب وأفعال الأمر، بالإضافة إلى ألفاظ تتصل بالحياة الاجتماعية اليومية، لم تنته دراسة هذه النقوش كلها بعد، ويُعتقد أن قسم منها يعود إلى القرن السادس ق.م⁽⁹¹⁾.

3.1.2 نقوش قرية الفاو: وهي من النقوش التي العربية الجنوبية القديمة، التي تم العثور عليها في قرية الفاو،⁽⁹²⁾ دونت بعض هذه النقوش بالخط المسند الرسمي وقليل منها بخط الزبور، وتتميز نقوش قرية الفاو المتأخرة بمميزات خاصة في رسم حروفها عن الخط المسند وزير حمير⁽⁹³⁾، اختلف المؤرخون حول الفترة التي تؤرخ لها نقوش قرية الفاو هناك من يحددها ما بين أواخر القرن 4 ق.م وأوائل القرن 4م⁽⁹⁴⁾، وهناك من يحددها ما بين القرنين 2 ق.م و4م⁽⁹⁵⁾

عرف عرب الجنوب الكتابة منذ القديم وهو ما يؤكد عليه كارل بروكلمان بقوله: "كان أهل اليمن⁽⁹⁶⁾ يعرفون الكتابة ويستعملونها في نقش الآثار الدينية والقانونية على الحجارة منذ ألف عام على الأقل قبل الميلاد"⁽⁹⁷⁾ كما عرف عرب الجنوب نقش أخبارهم على جدران معابدهم وقلاعهم وسدودهم⁽⁹⁸⁾، وتضمنت نقوشهم أسماء بعض الآلهة وأنواع القرابين وأسماء القبائل، أيضا دون فيها الملوك حروبهم وأعمالهم، وأكثر من ذلك تضمنت القوانين التي كانت تحكم الناس آنذاك⁽⁹⁹⁾ تُصنيف النقوش اليمنية القديمة من حيث طبيعة الكتابة إلى ثلاثة مجموعات هي: نقوش غير متقنة الخط "مخربشات" دونت على صخور في سفوح الجبال وتتضمن خواطر شخصية، نقوش متوسطة الحجم تتكون من بضعة أسطر وتتناول موضوعات شتى، نقوش مطولة دونت بعناية على جدران المعابد والمباني الضخمة؛ ذات طابع رسمي⁽¹⁰⁰⁾.

ولمست مضامين هذه النقوش العربية الجنوبية القديمة كافة مجالات حياة الإنسان الذي عاش في تلك الفترة لذلك اعتبرها المؤرخون في العصر الوسيط ومع بداية التدوين التاريخي عند المسلمين مصدرا تاريخيا مهما جدا؛ من بين الموضوعات التي تحدثت عنها نجد: نصوص التشريعات والقوانين التي تُعني بتنظيم الحياة العامة؛ مثلا تحتوي على أنواع كثيرة من الخطايا منها العامة؛ التي تقوم بين الأفراد بسبب التعدي على منشآت الري والزراعة وجرائم القتل، وأخرى دينية؛ تتعلق بانتهاك طقوس الطهارة، ومنها ما يتعلق بحرمة المعابد والتعدي على الألهة أو ممتلكات المعبد، ومنها المنازعات التي تحدث داخل المعابد بين المتعبدين⁽¹⁰¹⁾.

(91) فاروق إسماعيل-مرجع سابق-ص133.

(92) قرية الفاو التي تقع قرب سليل شمال شرقي نجران؛ عاصمة مملكة كندة ومحطة تجارية على طريق القوافل، وتسمى في نقوشهم قرية الإله كهل (مرجع نفسه-ص129).

(93) سالم بن أحمد-مرجع سابق-ص1139.

(94) سالم بن أحمد-مرجع سابق-ص1139.

(95) فاروق إسماعيل-مرجع سابق-ص129.

(96) تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة، تقطعها من الشمال إلى الجنوب سلسلتان جبليتان تحصران بينهما هضبة عريضة (عبد الحكيم الكعبي-مرجع سابق-ص46)

(97) كارل بروكلمان-مرجع سابق-ص63.

(98) محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص13.

(99) قاسم عبدو قاسم-مرجع سابق-ص104

(100) فاروق إسماعيل -مرجع سابق-ص129.

(101) محمود عبد الباسط عطية، دينار زين العابدين مصطفى- "انتهاك حرمة المعابد والتعدي عليها في ضوء النقوش العربية الجنوبية القديمة"-مجلة السياحة والآثار-المجلد 28-العدد 1-

ونصوص التشريعات الاقتصادية تتناول قوانين التجارة وكذلك نصوص الضرائب والهيئات للدولة والمعبد، ونصوص الوثائق القانونية فالهدف إثبات الملكيات الخاصة للمنازل والأراضي الزراعية أو وسائل الري والسقاية كالسدود والابار والبرك والقنوات، بالإضافة للنصوص التذكارية التي تسجل الأحداث التاريخية كذكر حملة عسكرية أو تسجيل انتصارا حربيا بالإضافة إلى تمجيد الملوك والشخصيات الهامة في الدولة⁽¹⁰²⁾، في الغالب هي نصوص من المجموعة الثالثة لمحتوه من معلومات هامة.

من خلال ما سبق نجد النقوش العربية الجنوبية القديمة كانت مصدر معلومات مهم جدا فضلا على أنه مصدر موثق ورسمي بالإضافة إلى أنه مصدر مادي بعيد عن كل زيف؛ اعتمد بن السائب الكلبي على النقوش المحفورة في كتابته⁽¹⁰³⁾، كذلك الهمداني في كتابه الإكليل⁽¹⁰⁴⁾ يذكر محقق الكتاب "أن ما ألفه هو صورة حية لما شاهده بين النصوص الأثرية المؤبرة على صميم الأحجار وماخط بالقلم المسند على القصور"، وعليه عرب الجنوب كان لديهم وعي تاريخي واضح؛ وشعورهم بالأهمية التاريخية لإنجازاتهم السياسية والإدارية⁽¹⁰⁵⁾ أكبر دليل على ذلك؛ وفكرة تدوين الأحداث في حد ذاتها تعبر عن وجود معرفة تاريخية، وهكذا النقوش العربية الجنوبية القديمة هي نمط من أنماط الحفاظ على الذاكرة التاريخية عند عرب الجنوب، وهو ما كان له أثر واضح في الكتابة التاريخية عند المسلمين خاصة بعد انتقال اليمانيين صوب العواصم والحواضر الإسلامية.

2.2 التقويم:

لم تكون النقوش المظهر الوحيد الذي يدل على الوعي التاريخي عند عرب الجنوب؛ كذلك اعتمدوا على تقويم ثابت⁽¹⁰⁶⁾ مما يؤكد على معرفتهم لحضارتهم وشعورهم بذاتهم؛ ومن ثمة الشعور بلزوم تحديد الزمن وأهميته بالنسبة للأحداث، على غرار عرب الشمال الذي كان بالنسبة لهم الزمن منقط بحوادث مهمة، هذا التقويم الثابت يبدأ بسنة 115 ق.م، قبل هذا التاريخ كانت كتابات ونقوش عرب الجنوب مشوشة⁽¹⁰⁷⁾.

ويظهر تأثير هذا المظهر من مظاهر المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب في الفكر التاريخي عند المسلمين؛ من خلال فكرة التقويم الثابت لدي اليمانيين أثرت في إحداث تأريخ ثابت لدي المسلمين "التقويم الهجري" والذي يعتبر نقطة مهمة جداً في التاريخ الإسلامي⁽¹⁰⁸⁾؛ بالإضافة إلى أنه أدخل الحيوية على التاريخ الإسلامي وأضفي عليه عنصر التنظيم الخاص بالإسلام فأصبح التقويم

(102) سالم بن أحمد-مرجع سابق-ص1142.

(103) عبد العزيز الدوري-مرجع سابق-ص15.

(104) الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب-الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير-وزارة الثقافة والسياحة-صنعاء-2004م-ص16.

(105) قاسم عبدو قاسم-مرجع سابق-ص104.

(106) محمد أحمد ترحيني-مرجع سابق-ص14.

(107) عبد العزيز الدوري-مرجع سابق-ص13.

(108) مرجع نفسه-ص15.

الهجري العامل الأساسي في تنظيم التاريخ الإسلامي وميزه عن بقية التواريخ⁽¹⁰⁹⁾. بهذا يكون تأثير نمط من أنماط المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب واضح على الكتابة التاريخية عند المسلمين.

3.2 الروايات الشفوية:

كذلك الروايات الشفوية تعتبر من مظاهر الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب؛ وترد إلينا الكثير من الإشارات تؤكد على أن عرب الجنوب كانت لديهم حكايات ملحمة تاريخية شبه أسطورية حول اليمن القديم وملوكه⁽¹¹⁰⁾.

لكن هناك من المؤرخين من يعتبر أن هاته الروايات الشفوية كان دورها هو إبراز البطولة على حساب الحقيقة التاريخية، أيضاً أن هذه القصص تحتوي على الخيال ويكتسيها الطابع الأسطوري بالإضافة إلى المبالغة في الأحداث وتهويلها⁽¹¹¹⁾.

على الرغم من ذلك فإنه لا يمكن إنكار الانتفاع بالرواية الشفوية كمرحلة من مراحل تطور الفكر التاريخي، زيادة على أنها تعبر عن الوعي التاريخي عند عرب الجنوب في ذلك الزمن، حيث أن تداول قصص مشافهة عن بطولات وأعمال ملوكهم وقادتهم تعتبر في حد ذاتها وعي بفكرة التاريخ⁽¹¹²⁾.

تعتبر القصص الملحمة أو شبه التاريخية التي ظهرت عند المسلمين بالضبط في العصر الأموي امتداد طبيعي للروايات الشفوية المتناقلة عن عرب الجنوب⁽¹¹³⁾، كذلك مثلت تلك الروايات مادة مصدرية اعتمد عليها المؤرخون المسلمون لتدوين تاريخ تلك الفترة؛ مثل رواية اضطهاد أهل نجران التي نقلها الطبري⁽¹¹⁴⁾ "أهل نجران ... سار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية وخيرهم بين القتل والدخول فيها فاخاروا القتل ...". ومنه يمكن أن نقول إن التدوين التاريخي عند المسلمين تتطور من تناقل الروايات الشفوية.

يعتبر الهمداني من المؤرخين المتأخرين من مدرسة اليمن الذين اعتمدوا على النقوش الكتابية العربية الجنوبية، حيث أن مدرسة اليمن ومنذ تأسيسها على يد "كعب الأخبار" اعتمدت على المنهج القصصي والمنهج الأسطوري، ومن أسباب ظهورها ذلك التنافس العريق بين عرب الجنوب وعرب الشمال، وسعى الجنوبيون إلى تمجيد اليمن القديم وإثبات وجوده على حساب عرب الشمال، وخاصة بعد ظهور الإسلام والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة⁽¹¹⁵⁾.

بالرغم من ذلك فإن مدرسة اليمن وجهت الأنظار لتاريخ اليمن العريق ودخلت في التاريخ العربي واندمجت فيه، كذلك شكلت مدرسة اليمن وروادها مثل: كعب الأخبار (ت:35هـ)، دغفل بن حنظلة السدوسي، عبيد بن شريه الجهمي، وهب بن

(109) عبد الاله خلف أحمد سالمان - "تطور الكتابة التاريخية حتى عصر ابن قتيبة" - كلية الآداب بقنا - العدد 48 - د.ت - ص 335-353

(110) ك. بويكا - المصادر التاريخية - تحقيق نايف أكرم - دار علاء الدين - دمشق - 1999م - ص 14.

(111) قاسم عبدو قاسم - مرجع سابق - ص 103.

(112) المرجع نفسه.

(113) عبد العزيز الدوري - مرجع سابق - ص 13.

(114) الطبري أبي جعفر محمد بن جرير - تاريخ الملوك والرسل - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - 1387هـ/1967م - ج 2 - ص 123.

(115) شاكر مصطفى - مرجع سابق - ص 135.

منبه(ت:114هـ) ...، منبع مهم جداً من منابع مدرسة الشام حيث أن معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد كانوا واعين بالحضارة اليمنية القديمة، حيث استقدموا رجالها إليهم، وسجل معلوماتهم عنهم، مما سمح بإدخال تاريخ ملوك وحروب اليمن قبل الإسلام للتاريخ عن طريق مدرسة الشام⁽¹¹⁶⁾.

اندثرت مدرسة اليمن بسرعة وذلك لتحالف عدة أسباب منها الموقع الجغرافي لليمن؛ البعيد نسبياً عن مجري مختلف الأحداث، خاصة السياسية، كذلك تراجع مكانة اليمن بعد ظهور الإسلام، مقارنة بمكانته قبل الإسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى مكانة اليمن مقارنة بالمدينة المنورة (عاصمة الدولة الإسلامية في العهد النبوي والراشدي حتى عهد عثمان بن عفان)، والشام (عاصمة الدولة الإسلامية في العهد الأموي) والعراق (عاصمة الدولة الإسلامية في عهد علي بن أبي طالب والدولة العباسية)؛ بمعنى لم يكن لليمن مكانة مرموقة في العهد الإسلامي تمكّنها من إحياء تاريخها القديم العريق⁽¹¹⁷⁾.

وعليه فإن المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب كان لها تأثير واضح في نشأة وتطور الكتابة التاريخية عند المسلمين حيث أنها كانت منبع ورافد ومنطلق أساسي لنهوض مدراس تاريخية بعينها عند المسلمين؛ حيث أن المعلومات التاريخية المستسقة من مختلف أنماط المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب كانت مادة دسمة استغلها رواد مدرسة اليمن، بل حتى مدراس أخرى مثل مدرسة الشام وحتى مدرسة المدينة.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

كان للعرب قبل الإسلام حس تاريخي يتوافق مع ثقافتهم والتطورات السياسية السائدة آنذاك حيث من غير الممكن أن ننفي وجود المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام، لكن يمكننا القول أنها لم ترتقي إلى ما وصلت إليه الحضارات السابقة والمعاصرة لهم (الفرس، ...) والإسلام أحدث ثورة في التدوين التاريخي عند العرب الذي تطور من الروايات التي تناقلتها الأجيال.

- عبر عرب الشمال قبل الإسلام عن مدي أهمية أحداثهم بالنسبة لهم من خلال حفظها في أيامهم وأنسابهم ونقوشهم.
- أيام العرب نمط من أنماط المعرفة التاريخية عند عرب الشمال ساهم في نشأة وتطور المعرفة التاريخية عند المسلمين من خلال اهتمام المسلمين بأيامهم كما اهتم العرب قبل الإسلام بل وأكثر من ذلك شكلت مصدر مهم اعتمد عليه المؤرخون لتدوين تاريخ تلك الفترة.
- نمط الأنساب في الكتابة التاريخية عند المسلمين أخذ من الأنساب كنمط من أنماط المعرفة التاريخية عند عرب الشمال منطلق وأساس.

⁽¹¹⁶⁾ مرجع نفسه-ص123.

⁽¹¹⁷⁾ مرجع نفسه-ص118.

- النقوش الكتابية العربية الشمالية، تُعبر عن الوعي التاريخي عند عرب الشمال، من الرغم من أنه الدراسين يرجعون هذا الوعي لهجرة مختلف القبائل من الجنوب إلى الشمال، ومما يؤكد هذه الفكرة هي أن خطوط أغلب النقوش الشمالية مشتقة من الخط المكتوبة به أغلب النقوش الجنوبية (المسند).
- عبرت النقوش العربية الجنوبية القديمة عن الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب، ومثلت مصدر مهم جدا للمؤرخين المسلمين للتأريخ لتلك الفترة وذلك لغناها بالمعلومات التي تمس مختلف جوانب الحياة في تلك الفترة.
- يعتبر التقويم الثابت قفزة نوعية في مراحل الفكر التاريخي عند العرب قبل الإسلام، ويعتبر التقويم الهجري بما قدمه من تنظيم للتأريخ الإسلامي امتداد طبيعي له.
- أظهر تداول الروايات الشفوية عند عرب الجنوب عن البطولات؛ سعة وعيهم التاريخي الذي، ساهم في نشأة وتطور الكتابة التاريخية عند المسلمين وذلك باعتبارها مصدر مهم جدا للمؤرخين المسلمين الذين أروا لتلك الفترة.
- شكلت المعرفة التاريخية عند عرب الجنوب بمختلف أنماطها وخاصة تناقل الروايات الشفوية عن التاريخ العريق لليمن القديم منبع رئيسي وهام ساهم في ظهور مدارس تاريخية بعينها عند المسلمين (مدرسة اليمن، ومدرسة الشام ...).
- الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب واضح وتفوق على الوعي التاريخي لدى عرب الشمال ويرجع لذلك للاستقرار السياسي والاقتصادي في منطقة جنوب الجزيرة العربية.
- أثرت المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام في التدوين التاريخي عند المسلمين وذلك عندما شكلت مادة مصدرة مهمة للمؤرخين المسلمين الذين تحدثوا على تلك الفترة وزيادة على ذلك ظهور أنماط تاريخية مكملة لأنماط المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام، فضلا عن مساهمتها في نشأة وتطور مدارس تاريخية بعينها عند المسلمين.